أوهـــام في بغـــداد (١-٢)

إذا كان النصار ف الرب يتوقف على تقيق الهداف السياسية الت استعانت أصلً بالوسائل العسكرية كأداة تنفيذية، فإنه يكن القول بأن الولايات المتحدة ما زالت بعيدة عن تقيق هذا النصار. وإذا كان الدف السياسي من الرب على العراق هو إزالة صدام حسي ونظامه البعثي وإبداله بكومة ديقراطية متوازنة، فيمكن القول من خلل السبوع الذي قضيته ف العراق أواخر شهر تشرين الول وبداية شهر تشرين الثاني بأن ذلك الدف قد أصبح بعيد النال على ما يبدو.

مارك وانر

عندما وصلت إلى بغداد كانت (المقاومة) تقوم يومياً بخمسة عشر هجوماً تقريباً على القوات الأمريكية. وعندما غادرت بغداد كان معدل تلك الهجمات قد ارتفع إلى أكثر من الضعف ليصل إلى خمسة وثلاثين هجوماً يومياً. وعلى الرغم من أن هنالك قادة عسكريين مثل القائد العام الجنرال (ريكاردو سانشيز) يقللون من شأن تلك العمليات على قواتهم عندما يصفونها بأنها (لا قيمة لها على الصعيدين الستراتيجي والعملياتي) فإنها قد ألهمت وكالة المخابرات المركزية CIA لإعداد تقرير تسرب في منتصف شهر تشرين الثاني مفاده: (لقد تزعمت الولايات المتحدة جهوداً حثيثة لإعادة إعمار البلاد في الوقت الذي يمكن أن تتعرض فيه الديمقراطية للإنهيار ما لم تتخذ خطوات فورية لتصحيح الموقف).

إن الولايات المتحدة هي صاحبة القوة العسكرية الأعظم في العالم بأسره، وقد أسهمت ميزانية الدفاع الضخمة التي تفوق مثيلاتها في كافة أرجاء العالم مجتمعة في تفردها بهذه الميزة. فإذا وضعنا خصماً في كفة الميزان الأخرى من أجل المقارنة سنجد مجاميع من المتمردين لا يتجاوز عددهم عشرات الآلاف أو ربما مزودين بأسلحة خفيفة ويستخدمون تقنيات كلاسيكية في حرب العصابات إضافة إلى العمليات الانتحارية الإرهابية، وبرغم هذا فهم يبلون حسناً ويمضون قدماً باتجاه إلحاق الهزيمة بالولايات المتحدة.

في حديث مع الكولونيل (وليم ديرلي) قال لي: (أن ما نحن بصدده هنا هو في الأساس مهام يجب أن يضطلع بها رجال الشرطة. وبعبارة أخرى إن هذا الوضع كان سيلائم جداً الحياة في الغرب القديم.. فأين هي المعارك التي تدور رحاها بين الكتيبة والكتيبة، والفرقة والفرقة؟ بل إننا لم نر في الواقع أية جماعة عسكرية على الإطلاق). لقد سمعت العسكريين الأمريكيين في كافة أنحاء العراق بدءاً من ضباط هيئة أركان الحرب وقادة المعارك إلى أصغر ضابط ميداني يعبرون عن وجهة النظر تلك بأشكال مختلفة. كان معظم أولئك الرجال رائعين بحق، فقد تسنى لهم الحصول على التدريب والتعليم الممتازين مما عزز من قدراتهم إلى أبعد حد. أما السبب وراء اجتماع هؤلاء الأشخاص مع بعضهم -في الوقت الذي تتخذ فيه الحرب منحى سيئاً للغاية بالنسبة للقوات الأمريكية- فهو العجز أو ربما الامتناع عن وصف ما يجري في العراق على إنه حرب.

هنالك تيار ثقافي في الولايات المتحدة يعتبر إن عدم وجود وجه تشابه بين أي قوة عسكرية مع قواتنا ليس بالأمر الجيد. وفي هذا العدد تحدث (جورج فريدم) الخبير الستراتيجي في وحدة الاستخبارات الخاصة/ ستراتفور قائلاً: (نحن نمتلك أعظم قوات تقليدية في العالم، وعلى الرغم من ذلك فإن أحداً لم يخض معنا قتالاً تقليدياً).

لقد باتت الحرب في العراق تعني اتحاد نوعين من العمليات الهجومية: الأولى العمليات التي تستهدف الولايات المتحدة والقوات المتآلفة معها باسلوب حرب العصابات. والثانية العمليات الإرهابية التي تنفذ ضد أهداف مدنية -غير عسكرية- ولكنها بارزة ومعروفة ومن ضمنها الفنادق والسفارات والمنظمات الدولية. وكانت العمليات التي تنفذ باسلوب حرب العصابات والتي بدأت في أواخر الربيع تتركز في بغداد والمنطقة التي تسمى بـ (المثلث السني) شمال وغرب العاصمة، ولكنها مع منتصف الخريف أخذت تزداد في الشمال بشكل ملحوظ وبوتيرة أقل في جنوب البلاد. أما هجمات الإرهابيين البالغة التأثير بما فيها التفجيرات الانتحارية فقد بدأت بالازدياد منذ أواخر الصيف شيئاً فشيئاً وأصبحت أكثر جرأة وحصافة وخصوصاً في استغلال الإعلام الدولي لمضاعفة تأثيرها السياسي. وكانت الاستخبارات الأمريكية -صاحبة الكلمة الفصل ومركز الثقل في حرب العصابات- تقف موقف العاجز ولم تسجل أي حضور لها في مواجهة تلك المخاطر.

لقد تنامت هجمات حرب العصابات وبدأت تفسد على الاحتلال الأمريكي سمعته بين الكثير من العراقيين مستغلة من بين عدة أشياء الفشل العسكري للولايات المتحدة في تحقيق الأمن خلال الأسابيع الأولى للاحتلال والإهانات اليومية والأعمال الوحشية التي تحدث بين الحين والآخر بالرغم من وجود جيش الاحتلال. كما ساعدت الهجمات الإرهابية على تعزيز وترسيخ عزلة الأمريكان دولياً والتي باتت تثقل كاهلهم منذ اتخاذ القرارات الدبلوماسية الكارثية التي تسببت في الحرب. وقد نجحت تلك الهجمات أيضاً في حرمان التآلف من استجلاب المزيد من القوات العسكرية والمساعدة الدولية لإعادة إعمار البلاد.

(الإرهاب مسرح واسع الأرجاء فعلاً.. ولكننا لن نجانب الصواب إذا قلنا بعبارة أخرى: (إن الإرهاب شكل من أشكال الكلام). ولسماع ما يدور من هذا الكلام -في حالة العراق- على المرء أن يلقي نظرة متفحصة على أهم عمليات التفجير التي حدثت في الأشهر العديدة المنصرمة:

-السابع من آب/ السفارة الأردنية: عملية انتحارية بواسطة سيارة مفخخة تؤدي إلى مقتل تسعة عشر شخصاً.

-التاسع عشر من آب/ مقرات الأمم المتحدة: عملية انتحارية بواسطة شاحنة مفخخة تؤدي إلى مقتل ثلاثة وعشرين شخصاً بضمنهم ممثل الأمم المتحدة في العراق.

-الثاني والعشرون من أيلول/ مقرات الأمم المتحدة: عملية انتحارية بواسطة سيارة مفخخة تؤدي إلى مقتل شخصين وإصابة تسعة عشر شخصاً بجروح.

-التاسع من تشرين الأول/ مركز شرطة: عملية انتحارية بواسطة سيارة مفخخة تؤدي إلى مقتل عشرة أشخاص.

-الثاني عشر من تشرين الأول/ فندق بغداد: عملية انتحارية بواسطة سيارة مفخخة تؤدي إلى مقتل ثمانية أشخاص وإصابة اثنين وثلاثين بجروح.

-الرابع عشر من تشرين الأول/ السفارة التركية: عملية انتحارية بواسطة سيارة مفخخة تؤدي إلى مقتل شخصين وإصابة ثلاثين بجروح.

-السابع والعشرون من تشرين الأول/ مقرات الصليب الأحمر الدولي وأربعة مراكز للشرطة: انفجار سيارات يؤدي إلى مقتل ما يقارب أربعين شخصاً وإصابة مئتين بجروح.

-الثاني عشر من تشرين الثاني/ مقرات القوات الإيطالية في الناصرية: انفجار شاحنة مفخخة يؤدي إلى مقتل واحد وثلاثين شخصاً.

خلف تلك الهجمات -التي أدرجت القسم المؤثر منها فقط- يستطيع المرء أن يرى إلى حدٍ ما غايات مدروسة بصبر وعناية ودقة تم تنفيذها على مراحل لتقطيع أوصال تلك الخيوط الواهية التي لا زالت تربط سلطة الاحتلال بباقي أنحاء العالم. فقد وجه الانتحاريون ضرباتهم إلى تلك الدول التي دعمت الأميركان كالأردن، وتلك الدول التي ساندت الاحتلال بوحدات عسكرية كإيطاليا، وتلك الدول التي أعربت عن استعدادها لإرسال قوات كتركيا.. لقد وجهوا ضرباتهم إلى قلب الأسرة الدولية التي يمكنها بواسطة توثيق اتصالاتها ببعضها أن تقدم العون للاحتلال من خلال إضفاء صفة الشرعية له عن طريق الأمم المتحدة، وتقديم المساعدة المناسبة في إعادة إعمار البلاد عن طريق منظمة الصليب الأحمر، ثم عادوا ليوجهوا ضربتهم الأخيرة إلى العراقيين المتعاونين مع سلطات الاحتلال، سواء كانوا أعضاءً في مجلس الحكم الذين عينتهم أمريكا (المجموعة التي تقطن بغداد) أو رجال الشرطة الذين يدربهم الأمريكان ويدفعون أجورهم.

كان توجيه الضربة للأردنيين قد ساعد المهاجمين وضمن لهم عدم مساهمة أي دولة عربية بوحدات عسكرية لدعم الاحتلال. فيما أسهم توجيه الضربة للأتراك في إرغام تركيا على سحب عرضها المثير للجدل لإرسال قوات إلى العراق. أما الهجوم على مقر الأمم المتحدة والصليب الأحمر فإنه لم يتسبب في قرار إعفاء هاتين المؤسستين موضع الانتقاد في الرحيل عن البلاد فحسب بل أدى أيضاً إلى مغادرة معظم باقي المنظمات غير الحكومية والرسمية التي كان من المؤمل أن تكون العمود الفقري في مسألة تقديم الخبرات والوسائل اللازمة لإعادة إعمار العراق. وكانت العمليات الهجومية على عدد من أعضاء مجلس الحكم التي جرح على أثرها أحدهم وقتل الآخر في حادث منفصل، قد أرغمت هؤلاء المسؤولين على الاحتماء مع الأمريكان خلف الجدار الأمني والانزواء بعيداً عن العراقيين مؤكدين بذلك الفكرة القائلة باعتماد سياستهم بشكل مطلق على الأمريكان.

(علامات ورموز).. تلك كانت كلمات ضابط الأمن الإيطالي: (الإرهاب ليس سوى علامات ورموز). لقد كان يجول ببصره على أكياس الرمال والأسلاك الشائكة وصفوف العوارض الكونكريتية المتشابكة والحراس المسلحين الذين يحيطون بمبنى السفارة. ثم قال: (لن يكون أي من تلك الأشياء ذا قيمة تذكر. فإذا عقدوا العزم على مهاجمتنا فإنهم سيفعلون. وعلى الرغم من إنهم لن يصلوا إلى المبنى فإن عملهم سيكون لغزاً لأنه سيؤدي إلى مقتل الأشخاص ويصنع الأخبار).

ثم أضاف: (إن الإرهاب يمكن توقعه تماماً). فبادرت إلى سؤاله عن فحوى تلك العلامات والرموز. فكان واقعياً جداً في توضيح الأمر بسلسلة من الحقائق حيث قال: (إن كل من يقدم العون للأمريكان سيكون هدفاً، وإن الأمريكان لا يستطيعون حماية حلفائهم ومنح العراقيين الأمن، وأن الفوضى آخذة في الانتشار وتحرز تقدماً مع الأمريكان الذين يبدون بانعزالهم كمن لا يمتلك زمام الأمور وغير محترس في رهاناته، وبأن الحرب لم تنته بعد على الرغم من كل الكلمات اللطيفة التي يطلقها الرئيس بوش من على متن حاملة الطائرات الخاصة به).. ثم استطرد قائلاً: (إن الإرهاب قضية لها منطقها الخاص بها).. بعد أسبوعين من هذا الحديث وقعت عملية انتحارية في الناصرية أدت إلى مقتل تسعة عشر إيطالياً.

ترجمة: سعد فوزي

عن الدورية الأمريكية New York revew of books عدد ١٨ كانون الأول ٢٠٠٣.

مشروع الشرق الأوسط الكبير على طاولة البحث في دمشق

دمشق ـ إبراهيم حاج عبدي

منذ إعلانه من قبل الإدارة الأمريكية قبل أسابيع، استحوذ مشروع (الشرق الأوسط الكبير) على اهتمام بالغ من قبل مختلف الأوساط والتيارات الرسمية والشعبية ،كما أخذت مناقشة المشروع حيزا واسعا في الفضائيات ووسائل الإعلام العربية المختلفة .

وفي إطار هذا الاهتمام أقام (المركز العربي للدراسات الاستراتيجية) الذي يرأسه الرئيس اليمني الجنوبي السابق علي ناصر محمد ورشة عمل في دمشق بمشاركة عدد من المسؤولين والباحثين السوريين من مختلف الانتماءات السياسية الى جانب باحثين من لبنان ومصر بحضور الأمين العام للمنظمة العربية لحقوق الإنسان محمد فائق، والأمين العام التنفيذي للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (اسكوا) ميرفت تلاوي.

اجمع المشاركون في هذه الندوة على ضرورة الإصلاح غير ان مستويات هذا الإصلاح وطبيعتها وآلياتها كانت موضع نقاش وجدل إذ تباينت الآراء ووجهات النظر، ففي حين دعا عدد من المشاركين الى رفض الإصلاح القادم من الخارج والتمسك بالخيار الوطني واعتبر ان الإدارة الأميركية طرحت (مشروع الشرق الأوسط الكبير) لـ(دمج إسرائيل) و(تحسين صورة أميركا) في العالمين العربي والإسلامي فان عددا آخر طالب بضرورة (الإصلاح الشامل ومواجهة الاستبداد وإلغاء قوانين الطوارئ وإطلاق سراح السجناء السياسيين) الذين يقدر عددهم بـ ٥٠ ألفا في العالم العربي.

والواقع ان التقارير والإحصائيات التي تصف الوضع الحالي في العالم العربي مخيفة، فمجموع إجمالي الدخل المحلي لبلدان الجامعة العربية الـ ٢٢ هو أقل من نظيره في أسبانيا، و يوجد نحو (٦٥) مليون أمي في العالم العربي تشكل النساء ثلثي هذا العدد، ولا تشغل النساء سوى نسبة ٥,٣ في المئة من المقاعد البرلمانية في العالم العربي ، فضلا عن نسب البطالة المرتفعة وغيرها من السلبيات والإجراءات التعسفية القائمة في البلدان العربية التي دفعت د.طيب تيزيني الى شن هجوم قاس على السياسات الأمريكية في المنطقة لكنه لم يغفل عن إدانة الأنظمة لافتا الى ان مشروع الإصلاح ضروري وقد تأخر كثيرا الى ان جاء على (مدرعات أمريكية).

ورأى المفكر والأكاديمي السوري ان الإصلاح لا يمكن ان يتم إلا بآليات وقراءة داخلية مشيرا الى ان هذا الإصلاح لابد ان يواجه الاستبداد رباعي الأبعاد،أي استفراده بالسلطة والثروة والإعلام والحقيقة، مطالبا بضرورة إسقاط ركائز هذا الاستبداد والتأسيس لمجتمع ديمقراطي داعيا الى التطبيع العربي ـ العربي :تطبيع العلاقات بين الأنظمة العربية من جهة، و تطبيع بين الأنظمة وشعوبها من جهة أخرى ،وأكد تيزيني على وجوب إسقاط قوانين الطوارئ والأحكام العرفية وإطلاق السجناء السياسيين وصولا الى فتح ملفات الاقتصاد والقضاء والجيش وكل ما انتج من فساد خلال عقود في العالم العربي.

من جهته قدم المدير العام للمركز منير الحمش خلفية لمشاريع الإصلاح الأميركية والأوروبية وقال ان (إصلاح نظام الحكم والطريق الى مجتمع ديموقراطي سليم، مسألة داخلية تقع على عاتق الشعوب بالدرجة الأولى)، وهو ما وافق عليه وزير الإعلام السوري احمد الحسن الذي دعا الى (ضرورة مواجهة) المشاريع التي (تأتينا جاهزة ومصنعة ومبوبة في وقت يصرف فيه النظر عن الصراع العربي - الإسرائيلي واحتلال العراق).

لكن الباحث اللبناني الفضل شلق اعترض على ما قاله الحمش من ان الإصلاح يجب أن يتم (وفق ما تقتضيه الظروف الموضوعية في كل مجتمع من مجتمعات المنطقة انطلاقا من الداخل)، إذ رد شلق ان مبدأ ان يأتي (الإصلاح من الخارج ليس سيئا في ذاته، أي لانه من الخارج (لافتا في هذا السياق الى تجربتي اليابان وألمانيا اللتين جرى الإصلاح فيهما بعد هزيمة ساحقة وبإرادة خارجية)، محذرا من ان اقتصار الخطاب العربي على رفض الإصلاح القادم من الخارج (يخدم الأميركيين لان من لا يقدم شيئا سيضطر الى قبول ما يفرض عليه).

واتفق الباحث المصري رفعت السيد احمد مع شلق و تيزيني معترضا على مقولة الإصلاح التي ينبغي تبديلها بمقولة التغيير معتبرا ان مجابهة الولايات المتحدة بشعوب مكبلة تقود الى خسارة حتمية وطالب في هذا الإطار بضرورة إلغاء قانون الطوارئ والإفراج عن المعتقلين السياسيين وإحلال لغة الحوار معهم بدلا من لغة الاعتقال او المصادرة، كما طالب بضرورة الإشراك الحقيقي للمرأة في جميع مناحي الحياة ،وأعطى السيد أحمد أهمية لدور المثقف في ظل الأنظمة المستبدة القائمة في البلاد العربية فهو (ضمير الشعب وعليه ان يتلمس الخطر ويقدم النصح) مقترحا البدء بإصلاح (قائم على ديموقراطية حقيقية تسبقها إشاعة قيمها بشكل جاد وفاعل).

من جهته اعتبر المفكر الإسلامي السوري محمد حبش ان فكرة هذا المشروع تعود الى شيمون بيريز(رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق) الذي ادرج في كتاب له مصطلح (الشرق الأوسط الجديد) ورأى حبش ان المشروع الأمريكي ليس مبرءا من الغرض لان الدول الكبرى لا تفعل شيئا لوجه الله وإنما لها سياسات ومقاصد، وكذلك قال الشيخ حسين شعبان (ان التاريخ قد يعذرنا في جميع الهزائم العسكرية والاقتصادية والسياسية، لكن الأبناء والأحفاد لن يعذروا جيلنا على الإطلاق بهزيمتنا الثقافية في معركة الهوية لأنها معركة وجود: ان نكون او لا نكون)، في حين انتقدت الباحثة الإعلامية السورية فريال مهنا وسائل الإعلام العربية التي لا تتصدى، حسب رأيها، للمشروع الأمريكي في ضوء معطيات الواقع بل في ضوء معطيات افتراضية، وأعربت مهنا عن استغرابها من ان الإعلام العربي ينتقد الولايات المتحدة لأنها تبحث عن مصالحها ! فهذا شيء بديهي، متسائلة بسخرية :هل نطلب من أمريكا تحقيق مصالحنا في وقت نتجاهل فيه نحن مصالحنا ولا نسعى الى تحقيقها ؟!

وبيّن من جانبه المفكر المصري يحيى الجمل في تعليقه على هذه المبادرة بان لا أحد عاقلا يرفض الرخاء والديمقراطية والاستقرار لكنه عزا رفض الجماهير والأنظمة العربية لهذا المشروع الى خوف الأنظمة على مراكزها ومغانمها وكراسيها ورأى أن هذا الرفض يغذيه أمران:

الأول هو التشكيك في الوافد الجديد، والثاني هو مكان إسرائيل في هذه الشرق أوسطية، وبدوره لم يبتعد المفكر سامي ذبيان عن هذا التحليل إذ شكك بأهداف مبادرة الشرق الأوسط الكبير معتبرا ان هذا المصطلح ـ برغم صحته ـ

جاء أساسا لاستبعاد حقيقة الترابط العربي الإسلامي المستمر منذ قرون، ومن ثم العمل لإسقاطه لمصلحة هوية جغرافية فضفاضة أرادوها لهذه المنطقة المترامية علها تتسع لذاك الكيان الإسرائيلي الذي جرى زرعه وسط هذا الترابط، وتسمح بوجوده، وتبرره في منطقة عربية إسلامية ليس هو منها في شيء.

سفـــارات وطـــن

للمرة الول ف حياتي ، أحضر حفل استقبال تنظمه سفارة عراقية ف العال، كانت التاسبة، إعادة فتح السفارة العراقية ف العاصمة الميكية، واشنطن.

تصفحت وجوه الضور ولكلهم ، بالتاسبة ، كانوا مواطني عراقيي من مختلف شرائح التمع العراقي، ول يكن فيهم حتى غريب واحد، وسألتهم ما إذا كانوا يرتادون سفارات بلدهم ف الاضي؟ أجابوا بالنفي، وتبي لي أنهم مثلي، يشاركون للمرة الول، حتى السفية العراقية الديدة ف واشنطن ، السيدة رند الرحيم، أخبتن أن آخر مرة زارت فيها مبنى سفارة عراقية ، كانت ف العام ١٩٧٦ ف العاصمة اللبنانية بيوت ، عندما اضطرت لتمديد جواز سفرها العراقي.

نـــــزار حيدر

وأضافت برهبة، وهي تتذكر الساعات التي قضتها مع موظف الأمن ، الذي حقق معها وهو يهدد ويتوعد ، في حين كانت تدور في مخيلتها صور ضحايا النظام المرعبة ، من الذين قتلهم موظفون يعملون في السفارات العراقية في العديد من دول العالم؛ (لم أكن أتوقع وقتها أبدا أنني سأخرج سالمة من مبنى السفارة ، وأرى النور وأشم الهواء ثانية ، لولا أن تداركتني رحمة من ربي)، لأن الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود ، أضفت قائلاً. في الحفل ، سألتني مراسلة صحيفة الواشنطن بوست الاميركية الواسعة الانتشار، التي حضرت الحفل لتغطية الخبر، عما يلفت نظري اليوم؟ فأجبتها وأنا أجول بناظري على جدران القاعة التي اكتظت بالحضور المستبشر خيرا بالعهد الجديد؛ (غياب صورة الطاغية الذليل صدام حسين ، إذ لم يعد بيننا بعد اليوم)، ضحكت المراسلة وقالت ،(بالفعل ، إنها ملاحظة تستحق التسجيل)، وقد سجلتها بالفعل ، في تقريرها الخبري الذي نشرته في عدد الصحيفة ليوم الجمعة. وكأغلب العراقيين في دول العالم ، لم أكن في الماضي ، أجرؤ على النظر ـ مجرد النظر ـ إلى مبنى السفارة العراقية ، لدرجة أنني كنت أتحاشى السير على الرصيف الذي يقع فيه المبنى ، فأسرع الخطى للانتقال إلى الجهة الأخرى من الشارع، كلما لمحت علم العراق يرفرف على مبنى من المباني، في دولة من دول العالم ، (سفارة كان ، أو أي شيء آخر ، لا فرق ، إذ ليس هنالك متسع من الوقت للتأكد مما إذا كان هذا المبنى سفارة للعراق ، أم مكتبا للخطوط الجوية العراقية ، فكل مؤسسات النظام في الخارج لا تختلف بمهامها ، بعضها عن البعض الآخر ، خشية أن يلمحني أحد الموظفين بنظرة شك أختفي بعدها من الوجود ، والى الأبد ، لأن سفارات نظام صدام حسين كانت أوكار إرهابية تنحصر مهامها في ملاحقة العراقيين في الخارج لاغتيالهم أو اختطافهم ونقلهم بالبريد الدبلوماسي إلى مديرية الأمن العامة في العاصمة بغداد ليلاقوا مصيرهم المحتوم فقد حصل ذلك لعدد كبير من المواطنين العراقيين ، الذين أختطف بعضهم من الشارع ، ليتم العثور على جثته مقطعة إربا إربا في كيس زبالة مرمي على قارعة الطريق ، كما حصل للمواطن العراقي (نجم عبد الكريم) في السويد في العام ١٩٨٣، أو على جثة محروقة ومشوهة من شدة التعذيب ، ومن دون رأس ويدين ، كما حصل للمواطنين العراقيين الطالبين في كلية الهندسة (سامي محمد مهدي، ونعمة مهدي محمد) في باكستان في العام ١٩٨٧، أو في أفضل الحالات ، كان يدس إليه السم، إذا ما تعذر قتله أو ختطافه ونقله إلى بغداد، ليعيش بقية حياته مشلولا لا يقوى على الحركة ، كما حصل ذلك لصديقي العزيز الأستاذ صادق الشكرجي في عام ١٩٨٤ عندما كان في زيارة تفقدية للجالية العراقية في السويد ، إذ تمكنت عناصر من جهاز المخابرات العراقية العاملة في سفارة النظام في العاصمة استوكهولم، من أن تصل إليه بطريقة ماكرة لتدس في طعامه سم الفئران القاتل ، لولا أن من الله عليه بالحياة مرة أخرى ، ليظل حتى الآن يعاني الشلل نصف التام، أما عمليات الملاحقة والمطاردة والقتل والاغتيال، فحدث عنها ولا حرج، وكأمثلة فقط ، أتذكر هنا حالات اغتيال الشهداء، السيد مهدي الحكيم في العاصمة السودانية الخرطوم عام ١٩٨٧ ، والشيخ طالب السهيل في العاصمة اللبنانية بيروت في العام ١٩٩٤، والدكتور المتخصص في علوم الكيمياء أبو محمد حبش في العاصمة الإيطالية روما في عام ١٩٨٤، عندما تمكنت المخابرات العراقية من محاصرته في شقته ، ورميه من الطابق الثامن في العمارة التي كان يسكن فيها مع عائلته ، إلى الأرض التي وصل إليها جثة هامدة ، والسيد حسن الشيرازي في العاصمة اللبنانية بيروت في العام١٩٨٠، وغيرهم المئات. وعلى ذكر ذلك، أتمنى أن يفتح المعنيون، ملف المتورطين في عمليات الخطف والقتل والاغتيال التي تعرض لها ضحايا النظام في دول العالم ، سواء من عناصر النظام البائد ، أو العملاء المتعاونين معه. ولا أنسى أن أذكر، بهذه المناسبة، المهمة الثانية التي اضطلعت وتميزت بها سفارات صدام حسين ، وهي شراء ذمم المثقفين والصحفيين وقادة الدول الصديقة والشقيقة، وزعماء الأحزاب الثورية جدا والتقدمية والديمقراطية، من خلال توزيع الهبات السخية عليهم، والتي اتخذت أشكالا مختلفة ، مثل كوبونات النفط والتي أعلن عن بعض أسرارها مؤخرا، والفلل الفاخرة والسيارات الحديثة الفارهة ، وفي أحيان كثيرة ، صكوك الأموال التي كان يدفعها صدام حسين من حسابه الخاص طبعاً، لأنه عودنا على أن لا يمد يده على المال العام أبدا ـ أعوذ بالله.

لقد أساء نظام صدام حسين، كثيرا للعراق، عندما استغل النشاط الدبلوماسي الشريف في بلدان العالم، ووظف العلاقات الدولية والعمل الدبلوماسي ، لخدمة أهداف لا إنسانية، من خلال تحويل سفارات العراق إلى أوكار للتجسس وخلايا للإرهاب المنظم، وإدارة عمليات الخطف والقتل والاغتيال وشراء الذمم والضمائر الميتة التي باعت آخرتها بدنياها، بالمديح والتصفيق للقائد الضرورة وإنجازاته التاريخية والفريدة من نوعها، ومنها غزوه البربري والهمجي الأحمق للجارة الشقيقة الكويت.

بعض السفارات كان قد حولها إلى دولة داخل الدولة المضيفة، كما كان الحال في الكويت التي كان يعمل في طاقمها الدبلوماسي (١٥٠) عنصرا قبل الغزو. لقد كانت سفارات العراق في مختلف دول العالم ، سفارات عصابة ، وملاجئ للقتلة، وقواعد لأجهزة الأمن والمخابرات ، ونقاط انطلاق لعناصر المنظمات السرية لتنفيذ عملياتها القذرة، إضافة إلى المافيات المتخصصة في السرقة والتهريب وحياكة المؤامرات ضد الدول المضيفة، كما كانت ملجأ لكل متزلف ومتملق ومداح للطاغوت.

أما هذه المرة ، فنريدها سفارات وطن، عندما يدخلها المواطن العراقي المغترب ، يشعر وكأنه يدخل بيته الثاني ، لا يخشى السفير ولا يخاف الموظف، ولا يرتعد خوفا إذا مد السفير يده على جرس المنبه ليطلب شيئا يضيف به زواره، ولا يتردد في تناول ما يقدم له خشية الاغتيال بالسم، أو الاختطاف بتناول المواد المخدرة أو المنومة ، ولا يستثني طرح أية مشكلة يعيشها هو وعائلته، في بلاد المهجر. سفارة ، الموظف فيها يخدم ولا يتآمر، يبادر ولا يتثاقل، يساعد ولا يبتز، همه أن يقضي حاجات المراجعين، لا أن يعقد مشاكلهم.

سفارة ، تمثل صورة العراق الجديد ، بتاريخه وحضارته وقيمه وأخلاقه وتنوع تركيبته الاجتماعية ، وتعدد اتجاهاته الفكرية والسياسية. سفارة ،لا يعمل فيها أعوان النظام البائد ، من المتورطين في جرائم ضد العراقيين بأي شكل من الأشكال ، ولا يتواجد فيها المرتزقة والمأجورون، وان موظفيها على درجة عالية من الأخلاق والثقافة والدراية والتجربة والحكمة والدماثة، بغض النظر عن انتماءاتهم الاثنية والدينية والمذهبية والفكرية والسياسية ، على قاعدة الرجل المناسب ، في المكان المناسب.

أعرف مسبقا أن (المثقفين جدا) لا يقبلون بهذا الكلام، وسيعترضون ويصرخون ويعتصمون ويتظاهرون أمام السفارات العراقية، مطالبين بالمستحقات المالية المتبقية على النظام البائد من السحت الحرام ، لأنهم يريدون السفارات العراقية ، بقرة حلوب تدفع لهم (فواتير) المقالات والقصائد والكتب والروايات التي يدبجونها ويكتبونها وينظمونها بحق القائد الضرورة، والمملوءة كذبا ودجلا وتزويرا ونفاقا، والتي كان يصب فيها صاحبها كل جهده الفكري والثقافي المتميز، لتبرير الديكتاتورية والاستبداد والنظام الشمولي ، وكل جرائم الطاغوت ، كالمقابر الجماعية والأنفال وحلبجة وسياسات العدوان والحروب العبثية، وكل ذلك، لتقربه زلفى إلى النظام وزبانيته.